النحت: لغة هو النشر، ونحت النجار الخشب أي قطعه، ونحَته ينحِته نحتاً أي براه، وخلاصة المعنى اللغوي للنحت بمعنى الاختزال والاختصار.

أما اصطلاحاً فلم تعرفه المعجمات القديمة عدا ابن فارس الذي حدّه بـ (أن تؤخذ كلمتان منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ)، أي أنه يتحدد في بناء كلمة واحدة لا كلمتين وعند المحدثين هو أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر مع المناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى معاً فتسقط من كل منهما أو من بعضها حرفاً أو أكثر وتضم باقي من أحرف كل كلمة إلى الأخرى، وتؤلف منها جميعاً كلمة واحدة.

وينقسم النحت في اللغة على أربعة أقسام:

١- النحت الفعلي: هو أن تنحت من الجملة فعلاً يدل على النطق بها أو على حدوث مضمونها مثل (بسم الله الرحمن الرحيم) عند نحتها تصبح (بسملة) أو (حسبي الله) عند نحتها تصبح (حسبلة) وغيرهما.

٢- النحت الاسمي: وهو أن تنحت من كلمتين اسماً مثل (جمد) و(جلد) عند نحتها تصبح (جلمود).

٣- النحت النسبي: هو أن تنسب شيئاً أو شخصاً إلى بلدتين أو اسمين مثل (عبد شمس) تصبح (عبشميّ) و(عبد القيس) تصبح (عبقيسيّ).

٤- النحت الوصفي: هو أن تنحت من كلمتين كلمة واحدة تدل على صفة نحو (الصلد، والصدم) معناه (الشبيه الحافر) تصبح (الصلدم).

أسباب حدوث النحت:

لعل السبب في نشوء بعض المنحوتات في اللغة أن المتكلم قد يعسر عليه الفصل بين كلمتين وردتا إلى ذهنه دفعة واحدة، وربما تتداخل الكلمتان فيما بينها تداخلاً تاماً، والنتيجة وجود كلمة هي خليط من عناصر مختلفة عن طريق النحت، وأكثر الكلمات التي تتكون بهذه الطريقة ذات عمر قصير غير أن قدراً غير يسير منها قد يكتب له البقاء، فيستقر في اللغة.

ويمكن أن يساعدنا النحت على تنمية الألفاظ في اللغة، فيقال (درعمي) نسبة إلى (دار العلوم) و(أنفمي) للصوت الذي يتخذ مجراه من الصوت والأنف معاً.

ولا مانع من النحت إذا اضطررنا إليه في تعريب المصطلحات العلمية والفنية لأن أساليب الاشتقاق الشائعة تغني عنه غالباً؛ ولأن للذوق دخلاً كبيراً في النحت، فأنت تقول:

>هـذه السـمكة مـن شـائكات الزعـانف< خيـر إلـى الفهـم مـن أن تقـول: >هـي مـن الشوجنينات< والذوق يرفض وصف الحشرات بـ (المسجناحيات) بينما يرضى عن وصفها بمستقيمات الأجنحة، والذوق يقبل النحت في كلمتين عربيتين نحو (الزمكان) نحتاً من الزمان والمكان، و(الحيزمن) نحتاً من الحيز والزمن.

التعريب:

اللغة العربية كباقي اللغات العالمية فيها تأثير وتأثر بباقي اللغات، وهي تقرض غيرها من اللغات وتقترض منها، ويعرف المعرب هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها، وتعريب الاسم الأعجمي هو أن تتفوه به العرب على منهاجها، وخصص سيبويه باباً سماه (ما أعرب من الأعجمي إلى العربية) وذكر أن التعريب يتم من خلال قرب الحروف من حيث الصفة أو المخرج، وكان العرب على جانب كبير من الوعي، وهم ينقلون إلى كلامهم هذه الكلمات المعربة، وقد أجروا التغيير الصوتي والوزني على الكلمة المستوردة بما يتناسب مع طبيعة نطقهم وفهمهم في أربعة أنواع: إبدال حرف بحرف، وإبدال حركة بحركة، وزيادة شيء، ونقص شيء.

إن الكلمات المعربة في عصر ما قبل الإسلام أقل مما هي عليه بسبب التحول السياسي والمادي والعلمي، وشهدت الساحة العربية نشاطاً هائلاً في الترجمة من الأمم الأخرى وخاصة في العصر العباسي، ففي الجاهلية عُرِّبَ عن الفارسية كلمات مثل: الدولاب، والدسكرة، والكعك، والسميد، والجُلَّنار، وعن الهندية عُرِّبَت ألفاظ مثل: الفلفل، والجاموس، والشطرنج، والصندل، وعن اليونانية مثل: القبّان، والقنطار، والترياق.

ولكن اللغويين العرب حين ألفوا الكتب في المعرب والدخيل لم يحسنوا دائماً التمييز بين الكلمة العربية والأعجمية فالبعض يتسارع في الحكم على المفردة بأنها أعجمية من دون تقديم الدليل على ذلك فكثيراً ما نفوا أعجمية لفظ من الألفاظ الوارد في القرآن لأن القرآن قد نزل به، وليس في القرآن عندهم كلمات معربة أو دخيلة ربما أرادوا إثبات تأثر العربية بالفارسية، وكان الأجدر بهم أن يجعلوا الاشتقاق وسيلة جيدة للتمييز بين الأصيل والدخيل، ولكنهم عطلوا هذه الوسيلة وأبطلوها بجنوحهم مثلاً إلى عربية الفردوس لنزول القرآن بها حتى اشتقوها من الفردسة، ومثل ذلك الاستبرق والسندس واليم والياقوت وسائر ما ورد في القرآن الكريم من الألفاظ الأعجمية المعربة التي أذهب القرآن عجمتها باشتماله

عليها، وقد ادعوا العجمة في كلمة (جرداب) معرب (گرداب) ومعناه الدوامة في وسط الماء أو بمعنى وسط البحر، وكلمة (جاموس) وهي تعرب (گاوميش).

واعترض في طريقهم بعض الأصوات الفارسية الغريبة عن العربية كالجيم الخالية من التعطيش مثل (گ) والباء المهموسة (p) والفاء المهجورة (v)، فقاموا بتغيير أو استبدال هذه الأصوات إلى الأصوات العربية الخالصة فالجيم الخالية من التعطيش أبدلوا جيماً معطشة أو كافاً أو قافاً مثل (جورب) أصلها (گورب) والباء المهموسة أبدلوها فاء أو باء مجهورة.

وطرحت قضية واختلف فيها في وجود ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم ففريق قال بوجودها في القرآن، وفريق آخر نفى القول السابق فليس في القرآن شيء من كلام العجم واستدلوا بقوله تعالى: >إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون<.

وجمع أبو عبيد القاسم بن سلاّم القولين السابقين وقرر صحتهما معاً، وهو ما ذهب إليه الجواليقي بأن هذه الألفاظ الواردة في القرآن هي أعجمية الأصل وعربية في الاستعمال بتعريبهم إياها، فهذا القول يصدق الفريقين معاً.

وهناك علامات استدل بها العرب لمعرفة الكلمات المعربة من العربية الأصل فمن الكلمات غير العربية التي تشتمل على هذه العلامات هي كالآتي:

١- اجتماع الصاد والجيم مثل (جص) و(صنجة) و(صولجان).

٢- اجتماع الجيم والقاف مثل (المنجنيق) و(الجوالق).

٣- اجتماع الباء والسين والتاء (البستان).

٤- مجيء الراء بعد النون مثل (نرجس).

٥- خلو الكلمة الرباعية والخماسية من حروف الذلاقة التي تجمع بعبارة (فر من لب) مثل (عقجش).

٦- خروج الكلمة عن الوزن العربي مثل (ابريسم).

الإعراب:

لغة: هو الإبانة، يقال: أعرب لسانه أي أبان، ويقال للرجل الذي أفصح بالكلام أعرب، أما الإعراب في النحو فهو الإبانة على المعاني بالألفاظ، وحكم جمهور النحويين من القدماء أن الإعراب جاء ليفرق بين المعاني من الفاعلية والمفعولية والإضافة، وشذ

عن الجمهور محمد بن المستنير المعروف بقطرب (٢٠٦هـ) قائلاً: إن حركات الإعراب لم تأتِ للتفريق بين المعاني بل جاءت لضرورة صوتية لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، ويرى أن هذه الحركات جاءت للسرعة في الكلام وللتخلص من التقاء الساكنين عند وصل الكلام.

وقد ردَّ النحاة على قول قطرب: لو كان كما زعم لجاز خفض الفاعل مرة ورفعه أخرى ونصبه، وجاز نصب المضاف إليه لأن القصد في هذا هو الحركة تعاقب السكون ليعتدل الكلام، وهو مخير في اختيار الحركة، وفي هذا فساد للكلام وخروج عن أوضاع لغة العرب.

وقد خالف من المحدثين جمهور النحويين الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (من أسرار اللغة) ووافق قول قطرب السابق وتلخص نظريته كما يأتي:

١- ليس للحركة الإعرابية مدلول، فلا تدل على الفاعلية أو المفعولية أو الإضافة.

٢- هذه الحركات جاءت في الغالب لوصل الكلام أي للتخلص من التقاء الساكنين وأن معنى الفاعلية والمفعولية لا يستفاد بها من خلال هذه الحركات بل من موقع الفاعل والمفعول في الجملة.

٣- الحركات الإعرابية جاء بها النحاة لتطرد قواعدهم فحركوا كلمات لا داعي إلى تحريكها فقالوا: (الرجلُ قائم) بضم اللام وكان يكفي (الرجلْ قائم) بتسكين اللام إذ لا توجد ضرورة إلى تحريك اللام.

ولم تلقَ نظرية الدكتور إبراهيم أنيس قبولاً لدى المحدثين، وقد ردَّ عليه الدكتور مهدي المخزومي بأن نظريته لا تستطيع أن تفسر اختلاف اللهجات في الوقف مثل لهجة (أزد السراة) الذين وقفوا على المرفوع عندما نطقوا بضمته واواً أي أطالوا الضمة إلى واو، وإذا وقفوا على المكسور أطالوا كسرته فكأنما هي ياء، فيقولون: >هل جاء خالدو، مررت بخالدي< حين يريدون الوقف، ولماذا اختلفت الكلمات في حال الفاعلية والمفعولية والإضافة.

إن قول الدكتور أنيس السابق أمر لا يصح في الواقع اللغوي، وإذا سرنا بقوله يحدث صعوبة في التمييز بين أحوال الكلام العربي وخاصة أن العربية اتسعت بأسلوب التقديم والتأخير، وبالنتيجة حصول لبس في تغير الدلالة ولما استطعنا أن نميز بين معنى لفظ الجلالة (الله) و(العلماء) في قوله سبحانه: >إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ<.

ولم يكن الدكتور إبراهيم أنيس أول من شك في حقيقة الإعراب فقبله كان قطرب وقبله بعض المستشرقين منهم (فوللرز) الذي يرى أن النص الأصلي للقرآن كتب بلهجة مكة، وهذه اللهجة كانت خالية من الإعراب، وانتقل الإعراب إلى هذا النص فيما بعد وأن العربية الفصحى التي رواها لنا النحويون العرب والتي توجد في القرآن هي مصنوعة.

ومن المشككين كذلك المستشرق (باوا كاله) فيقول: إن النص القرآني كان خالياً من الضبط بالشكل مما يعكس وضوح العربية وبعد ذلك اقترحت طريقة تضاف فيها العلامات في نهاية الكلمة إلى النص لضمان صحة القراءة، ثم قال: الالحاح على طلب قراءة القرآن بالإعراب لا يبدو معقولاً إلا إذا كان يقرأ من دون إعراب وعُدَّ هذا الإعراب في وقت متأخر، ذكر هذا الكلام بعدما عثر على مخطوطة للخليفة الأول أبي بكر يقول: إن إعراب القرآن لأحب إليَّ من حفظ بعض حروفه، وقال ابن مسعود: جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه فإنه عربي والله يحب أن يعرب.

وإذا أردنا مناقشة المستشرقين نقول: استنتاج المستشرق (باول كاله) هو استنتاج خاطئ لأن الإعراب بمعناه الاصطلاحي لم يكن معروفاً في أيام أبي بكر وابن مسعود، ومعنى كلمة (إعراب القرآن) في هذه الأحاديث إن لم تكن مزيفة هو الوضوح والبيان في قراءة القرآن.

ومثلما شك بعض المستشرقين في وجود الإعراب فإن كثيراً من المستشرقين قد دافعوا عن أصالته أمثال نولدكه الذي يرى أنه من الخطأ الاعتقاد بأن اللغة الحية في عهد النبي ’ لم يكن فيها إعراب فإن العلماء في عصر هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب لدى البدو ولكن ظاهرة الوقف قد شاعت في الحديث اليومي، وقد عودت الأذن على سماع الصيغ الخالية من الإعراب، ثم ذكر أنه لو كان النبي ’ أو أحد معاصريه قد نطق بالقرآن من دون إعراب لكان من غير الممكن أن تضيع الروايات الخاصة بذلك، ومن غير المعقول أن النبي ’ قد استخدم في القرآن لغة تخالف اللغة الشائعة وأن يكون قد اعتنى بالإعراب وقومه لا يستخدمون هذا الإعراب في كلامهم.

ويقول المستشرق يوهان فك: اتسمت العربية الفصحى بالتصرف الإعرابي الذي فقدته جميع اللغات السامية باستثناء البابلية القديمة ونجد في بعض اللهجات البدوية حتى الآن ظواهر الإعراب.

ويقول المستشرق برجشتراسر: الإعراب سامي الأصل، وإن أغلب ما قاله المستشرق فوللرز إنما كان صدر من تساهل الناس في القراءة بعد اختلاطهم بالأعاجم وشيوع اللحن،

فليس للنص القرآني صلة بشيء من هذه الملاحم من قريب أو من بعيد.

وبعد هذا يمكن القول إن الإعراب في العربية يدل على المعاني، ولم يكن حركات وصل بين الكلمات، والأدلة على ذلك كما يأتي:

١- وجود الإعراب في قانون حمورابي (١٧٩٢ق.م) المدون باللغة البابلية القديمة، فالفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، وعلامة الرفع الضمة، وعلامة النصب الفتحة، وعلامة الجر الكسرة كما هو في العربية الفصحى تماماً.

٢- وصل القرآن الكريم إلينا متواتراً شفوياً معرباً وكما قال نولدكه: >لو كان النبي نطق به دون إعراب لوصل إلينا<.

٣- الرسم القرآني يؤيد وجود الإعراب وأنه ليس من اختراع النحاة بوجود الألف في الخط العثماني في حالة المنصوب المنون والمجرور المنون كقوله سبحانه: >ولا تحسبنَّ الله غافلاً< وقوله تعالى: >وما الله بغافلٍ<، فليس هناك ضرورة صوتية بتحريك اللام في النص الأول بالفتحة والثاني بالكسرة، وكما يوجد في القرآن (المؤمنون والمؤمنين) ولا شك أن المصحف العثماني دُوِّنَ في عصر غير قصير في عهد علماء البصرة والكوفة الذي ينسب إليهم قواعد الإعراب.

٤- علماء العربية ومنهم ابن جني في القرن الرابع الهجري أي في العصر العباسي كانوا يسمعون الإعراب بكل دقائقه، وكما ورد في كتاب سيبيويه: >سمعنا العرب الموثوق بهم< وردد ذلك كثيراً في كتابه.

٥- يقول الدكتور علي وافي: >إذا أمكن أن نتصور أن علماء القواعد تواطؤوا جميعاً على صناعة الإعراب واختلاقه فإنه لا يمكن أن نتصور أنه تواطأ معهم عليه جميع العلماء من معاصريهم، فأجمعوا كلمتهم أن لا يذكر أحد منهم شيئاً ما عن هذا الاختراع<

وقد ضاع الإعراب في الفصحى في النصف الثاني من القرن الأول الهجري عندما اختلط سكان مكة بعناصر أجنبية ولم يحتفظ منهم إلا عدد قليل بالشكل القديم، وقد علّل نولدكه فقدان البدو لظاهرة الإعراب هو الوقف على الكلمات العربية بالسكون إلا أنه جانب الصواب في قوله: إن فقدان الإعراب غير مؤثر في وضوح المعنى، فالإعراب يدل على وظيفة الكلمة في الجملة بحسب الموقع لكل جزء فيها مثل: >ضرب محمدٌ علياً< يمكن أن تقال في الفصحى بأوجه أخرى نحو: >ضرب علياً محمدٌ< أو >محمدٌ ضرب علياً< أو >علياً ضرب محمدٌ< والتقديم والتأخير في الجمل السابقة يعزى إلى الجزء الذي يهتم به

المتحدث أكثر من غيره عندما يقدمه في التركيب.

وبسبب وجود الإعراب في الفصحى ظفرت الجملة العربية بحرية كبيرة في ترتيب أجزائها للدلالة على وظيفة الكلمة في الجملة، وعندما فقد الإعراب كان الواجب أن يلزم بناء الجملة نظاماً واحداً وهو ما حدث في اللهجات العربية الحديثة، فإن الجملة السابقة >ضرب محمدٌ علياً< أصبحت في اللهجات الحديثة >محمد ضرب علي< بتقديم الفاعل ثم مجيء الفعل ثم المفعول به.

واللغات التي فقدت الإعراب استعاضت في تأدية العلاقات التي كان يعبر عنها الإعراب إما بكلمات مساعدة كحروف الجر وغير ذلك، وإما بوضع كل كلمة بالنسبة للكلمات الأخرى كما هو الحال في اللغة الصينية أو عندما لا يوجد إلا عدد محدود كما الحال في الفرنسية، ففي اللغة الصينية يحتل نظام الجملة مكاناً هاماً لعدم وجود الإعراب، وفي اللاتينية يؤدي نظام الجملة دوراً ثانوياً بسيطاً، وفي الجملة الانجليزية (Tohn hit Geogre) لا يدل السامع على الضارب والمضروب هنا إلا نظام الجملة لا غير، وفي (He hit me) نجد دليلين اثنين في هذه الجملة فإن (he) لم تأتِ في موقع محجوز دائماً للفاعل فحسب بل تدل كذلك بصيغتها (he) وليس (him) على الفاعلية، وفي الوقت نفسه جاءت (me) في موقع المفعول، وهي دلت على المفعول كذلك.

الإتباع:

هو أن تتبع الكلمة الثانية الأولى في وزنها أو رويها إشباعاً وتوكيداً، ويعزى سبب التسمية أن الكلمة الثانية تكون تابعة للأولى، ولا يتكلم بالكلمة الثانية بشكل منفرد.

والانسجام الصوتي هو أساس الاتباع ثم يأتي جانب المعنى في مرتبة تالية في الأهمية، والمتكلم يريد أن يعبر عن فكرة أو انفعال معين، نحو (شيطان ليطان) أي لصق به، و(حسن بسن) إذا حسنت هيأته، و(جائع نائع) أي رماه الله بالجوع، و(سائغ لائغ) وغيرها.

وفي الإتباع يكون الثاني بمعنى الأول من دون حرف عطف؛ لأن الواو إذا وجدت في الكلمة الثانية تعطي نغماً مخالفاً لتكرار الكلمة الثانية، فهناك فرق بين (حسن بسن) وبين (حسن وبسن).

ويأتي الإتباع لأغراض التوكيد وتقوية المعنى، وتأتي الكلمة الثانية مساوية في

الصيغة والقافية للكلمة الأولى.

ويقسم الإتباع بحسب المعنى على ثلاثة أقسام:

١- كلمة الإتباع لها معنى واضح يدرك بسهولة نحو (هنيئاً مريئاً) أي ساغ.

٢- كلمة الإتباع يكون معناها صعب الاستخراج أو لا معنى لها نحو (شيطان ليطان) و(حسن بسن).

٣- كلمة الإتباع لها معنى متكلف مستخرج من الكلمة الأولى مثل (خبيث نبيث) والنبيث هو الشرير، أو فلان ينبث في عيون الناس أي يظهرها.

والفرق بين الإتباع والتوكيد أن الثاني يفيد مع تقوية المعنى نفي احتمال المجاز، والتابع من شرطه أن يكون على زنة المتبوع والتأكيد لا يكون كذلك مثل: >جاء زيد نفسه<.

الترادف:

هو اختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، وهذه الألفاظ يمكن أن تتبادل فيما بينها في أي سياق، والترادف موجود في معظم لغات العالم، ولكن اللغة العربية بما أتيح لها من القرآن الكريم، ووجود الظروف والعوامل ما وسَّع من طرائق استعمالها وأساليب اشتقاقها وتنوع لهجاتها فاتصفت بأنها أوسع اللغات ثروة فانطوت من هذا كله على محصول لغوي لا نظير له في لغات العالم.

أسباب وجود الترادف:

١- اللهجات: تطلق كل لهجة اسماً على مدلول معين، وبعد احتكاك اللهجات بعضها ببعض أدّى إلى تمسك هذه اللهجات بالمسميات، وهذه المسميات تدل على معنى واحد، مثال ذلك البطيخ في مصر هو الرقي في العراق والدلاح في ليبيا والحبحب في السعودية، ونستطيع أن نفهم على ضوء ذلك ما وقع في القرآن من هذه الألفاظ المترادفة نحو (حلف وأقسم) بمعنى واحد في قوله سبحانه: >يحلفون بالله ما قالوا< و>أقسموا بالله جهد أيمانهم<، و(بعث وأرسل) بمعنى واحد نحو قوله عزَّ من قال: >بعث فيهم رسولاً< و>فأرسلنا فيهم رسولاً<

٢- أن يكون للشيء الواحد في الأصل اسم واحد ثم يوصف بصفات مختلفة وإذا بتلك الصفات تستخدم في يوم ما وينسى ما فيها من الوصف، مثال ذلك أسماء السيف

المختلفة، وهي في الأصل صفات كالصارم والباتر والقاضب والصقيل وغير ذلك.

ويعلل نولدكه أسباب وقوع الترادف لتوسع المعاجم، فبعض الشعراء يسمي الأسد بالكاسر وآخر يسميه بالساحق، والمعجم العربي يأخذ هذه التسميات على أنها ترادف لكلمة الأسد.

٣- التطور الذي يحدث في أصوات الكلمة فتنشأ صور أخرى للكلمة على ألسنة الناس فيعدها اللغويون مترادفات لمسمى واحد نحو (الحثالة والحفالة والحذالة والحسالة والحصالة) للرديء من الشيء، وكذلك الصقر والسقر والزقر.

٤- التطور في معنى الكلمة: المعاني لا تبقى على حالة واحدة، فقد يصبح الخاص عاماً أو يصبح العام خاصاً فكلمة (هلك) إذا قورنت بلغات أخرى كالعبرية مثلاً تعطي معنى آخر، فكلمة (هلك) في العبرية تأتي لكل نوع من الذهاب أي فيها إطلاق في المعنى في حين أن معناها في العربية تحدد وأصبح مقصوراً على نوع واحد من الذهاب وهو الهلاك وقد أدّى هذا التطور في معنى الكلمة إلى ترادف بين الموت والهلاك.

٥- الاستعارة من اللغات الأجنبية التي كانت تجاور العربية في الجاهلية وصدر الإسلام كالألفاظ المستعارة من اللغة الفارسية وغيرها كالدمقس والاستبرق للحرير، والبخت للحظ، والجل للورد، واليم للبحر، وغير ذلك.

واختلف القدماء في وقوع الترادف في العربية وأجمع المحدثون على إمكانية وقوعه في أي لغة من لغات البشر.

وهناك شروط معينة لا بد من تحققها حتى يمكن أن يقال إن بين الكلمتين ترادفاً، والشروط هي:

١- الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً فإذا تبين أن العربي كان يفهم من كلمة (جلس) شيئاً لا يستفيده من كلمة (قعد) فحينئذٍ نحكم بعدم وجود الترادف بين الكلمتين.

٢- الاتحاد في البيئة اللغوية، فالترادف بمعناه الدقيق هو أن يكون للمتكلم الواحد في البيئة الواحدة الحرية في استعمال كلمتين أو أكثر بمعنى واحد يختار هذه الكلمة حيناً ويختار تلك الكلمة حيناً آخر وفي كلتا الحالين لا يكاد يشعر المتكلم بفرق بينهما.

٣- الاتحاد في العصر: المحدثون حين ينظرون إلى المترادفات ينظرون إليها في عهد خاص وزمن معين، فإذا بحثنا عن الترادف يجب أن لا نلتمسه في شعر شاعر من الجاهليين ثم نقيس كلماته بكلمات وردت في نقوش قديمة بعيدة عن العصر الجاهلي.

٤- ينبغي أن لا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر، فحين نوازن بين (الجثل) و(الجفل) بمعنى (النمل) نلحظ أن إحدى الكلمتين يمكن أن تعد أصلاً والأخرى تطور لها، فنحكم على أن الكلمة الأولى (الجثل) هي أصل ونشأت في بيئة بدوية تميل إلى الأصوات الأكثر وضوحاً في السمع، والكلمة الثانية (الجفل) صيغة حضرية نشأت في بيئة تراعي خفوت الصوت والتقليل من وضوحه وهي تطور للكلمة الأولى.

الاشتراك اللفظي:

هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، مثل لفظة (الجبل) الذي يدل على أكثر من معنى: ما علا من الأرض، وسيد القوم وعالمهم، ولفظة (البلد) الذي يدل على: مكة، وكل قطعة من الأرض العامرة، والتراب، والدار، وغيرهما من الألفاظ.

عوامل نشأة المشترك اللفظي:

١- الانتقال من الحقيقة إلى المجاز، وهو أهم العوامل، وإليه يمكن أن يعزى معظم اختلافات المعاني وتغيرها، وقد يكون هذا الاستعمال المجازي نشأ من غير قصد لتوضيح معاني المتكلم نحو: رأس الإنسان، ورأس الجبل، ورأس النخلة، ورأس الحكمة، فوجه الشبه بين المعاني المتقدمة هو الشيء البارز العلوي من كل شيء؛ وكلمة (العين) تدل في الأصل على عضو الإبصار عند الإنسان والحيوان، وهي من الأسماء القديمة في اللغات الجزرية والسامية، أما العربية ففيها زيادة على هذا المعنى، فمن معانيها الدينار، وعين الرؤية، وعين الماء، وعين الشمس، وهذه كلها تدل على العين بالاستعارة أو سيلان الدمع منها أو غيرهما من المعاني.

٢- غموض العلاقة بين معاني المشترك اللفظي التي قد تكون مرتبطة بأشياء تأريخية أدت إلى نشوء معانٍ بعيدة للكلمة، من أمثلة ذلك كلمة (التقاوى) مستعملة في الريف المصري بمعنى البذور، وهذا الاستعمال يرجع إلى عهد محمد علي الكبير، فكان يعطي للفلاحين بذوراً يعينهم على الزراعة، وكان يكتب: >يُعطى فلان إردباً تقويةً له< فإذا قيل: أخذت التقوية فإنما يعني أخذ البذور، وجمع التقوية على التقاوى، وغُلّب هذا اللفظ (التقاوى) على البذور.

٣- اللهجات: نرى أن بعض اللهجات تستعمل كلمات متحدة الصورة في معانٍ

مختلفة، فإحدى القبائل تستعمل كلمة في معنى من المعاني في حين أن قبيلة أخرى تستعملها في معنى آخر، فمثلة كلمة (الهِجْرس) تعني القرد في الحجاز، وتعبر عن الثعلب عند تميم، ثم جاء جامعو اللغة وذكروا لنا معنيين لهذه الكلمة الواحدة، ومن الأمثلة الأخرى أن عامة العرب تطلق على الذئب (السرحان) و(السيد) وهذان الكلمتان تطلقان عند هذيل على الأسد.

٤- اقتراب الألفاظ من اللغات المختلفة فربما كانت اللفظة المقترضة تشبه في لفظها كلمة عربية لكن لها دلالة مختلفة مثل كلمة (الحب) بمعنى الوداد، و(الحب) بمعنى الجرة التي توضع فيها الماء، والمعنى الأول عربي أصيل أما الثاني فهو مستعار من الفارسية لكلمة مماثلة تماماً في اللفظ العربي، ومن الأمثلة الأخرى (السور) بمعنى الحائط، و(السور) بمعنى الضيافة، والمعنى الأول عربي أما الثاني فهو فارسي.

٥- التطور في أصوات الكلمة: قد تكون هناك كلمتان كانتا في الأصل مختلفتي الصورة والمعنى ثم حدث تطور في بعض أصواتها، فاتفقت مع الكلمة الأخرى في أصواتها، وأصبحت الصورة المتحدة أخيراً مختلفة في المعنى، مثال ذلك: (الفروة) بمعنى جلدة الرأس والغنى، وأصل المعنى الثاني هو الثروة فأبدلت الثاء فاء، ومن الأمثلة الأخرى (دعم الشيء: قواه) و(دعمه: دفعه وطعنه) وأصل المعنى الثاني هو (دحم)، فقد تطورت هذه الحاء إلى عين بسبب مجاورتها للدال المجهورة فقلبت إلى نظيرها المجهور وهو العين، وصارت (دعم) والتبست بكلمة (دعم) بمعنى (قوّى)، فنشأ الاشتراك اللفظي في هذه الكلمة.

ولسنا نزعم أن العربية تنفرد بالمشترك اللفظي، ففي سائر اللغات ألفاظ مشتركة بيد أن كثرة المشترك النسبية في اللغة العربية هي التي تجعل أن نضع المشترك تحت اتساع العربية في التعبير وأن فيها تنوعاً في المعاني بسبب تنوع الاستعمال.

الآثار الإيجابية للمشترك اللفظي:

١- بفضل المشترك تكتسب الكلمات نوعاً من المرونة والطواعية، فتضل قابلة للاستعمالات الجديدة من غير أن تفقد معانيها القديمة.

٢- الغموض الحاصل في المشترك يثير انتباه السامع، وإثارة نوع من التناقض في ذهن القارئ مما يضطر إلى إيجاد تفسير يرفع هذا التناقض.

٣- استعمال اللفظة في معنى مجازي يجعلها أكثر أدبية.

الآثار السلبية:

إن أكثر الآثار السلبية للمشترك هو وجود التشويش الذي يعوق التفاهم أو يلقي ظلالاً من الغموض على المعنى، ويترتب على ذلك صراع بين المعنيين قد تتصل بوجود الكلمة ذاتها.

التضاد:

هو نوع من العلاقة بين المعاني ربما كانت أقرب العلاقات إلى الذهن، فمجرد ذكر معنى معين يحضر إلى الذهن المعنى المضاد له، كاللفظ الأبيض والأسود، والخير والشر، والحق والباطل، والليل والنهار، وهي إحدى الظواهر التي تسهم في نمو اللغة، وهي نوع من المشترك اللفظي يكون فيه اللفظ الواحد دالاً على معنيين: الأول ضد الآخر.

العوامل التي تؤدي إلى التضاد:

١- عموم المعنى الأصلي: قد يكون المعنى الأصلي للكلمة عاماً ثم يتخصص هذا المعنى في لهجة من اللهجات كما يتخصص في اتجاه مضاد في لهجة أخرى نحو كلمة (المأتم) تدل على النساء المجتمعات في الفرح كما تدل على النساء المجتمعات في الحزن، والأصل في ذلك عموم المعنى، فالمأتم اجتماع النساء في الخير والشر.

٢- التفاؤل: التفاؤل والتشاؤم من غرائز الإنسان، فهناك كلمات تعبر عن الموت والأمراض والمصائب يفر منها الإنسان، ويكنى عنها بكلمات حسنة المعنى قريبة إلى الخير نحو لفظ (السليم) يطلق في العربية على الصحيح وعلى اللديغ، واشتقاقه من السلامة يؤكد أصالة المعنى الأول، وإطلاقه على اللديغ جاء من التفاؤل بسلامته، وكذلك لفظ (الناهل) تطلق على الريان وعلى العطشان، واشتقاق النهل من ورود الماء والشرب، ومنه المنهل بمعنى المورد يؤكد أصالة المعنى الأول، أما العطشان فقيل له ناهل على التفاؤل بالري.

٣- التهكم: عامل التهكم والسخرية من العوامل التي تؤدي إلى قلب المعنى وتغيير الدلالة إلى ضدها في كثير من الأحيان، فأصل كلمة (التعزير) هو التعظيم ومنه قوله تعالى: >وتعزروه وتوقروه<، غير أنها تستعمل في معنى التأديب واللوم تهكماً واستهزاءً بالمذنب.

٤- التطور الصوتي: توجد كلمتان مختلفتان لهما معنيان متضادان، فتتطور أصوات إحداهما بصورة تجعلها تنطبق على الآخر تمامً، فيبدو الأمر كما لو كانت كلمة

واحدة لها معنيان متضادان، من أمثلة ذلك (تلحلح) بمعنى أقام وأزال، المعنى الثاني كان في الأصل لكلمة أخرى هي (تحلحل) ثم حدث قلب مكاني فقدمت اللام وأخرت الحاء.

٥- المجاز والاستعارة: أوضح مثال لهذا العامل هو إطلاق كلمة (الأمة) على الجماعة وعلى الفرد، فالفرد لا يقال له (أمة) إلا على التشبيه بالجماعة على وجه المبالغة، فيقال عن هذا العالم >كان أمة وحده< بمعنى أنه كان في رجحان عقله وحدة ذكائه أمة بأسرها.